77
2023
نفسانى الكتاب العربي
إصدارات مكتبية في علوم الطب و النفس

نحو مدرسة عربية في علوم النفس

سلسلة إصدارات مكتبية محكمة

الإصدار السابع والسبعون

عدد 77 - 2023

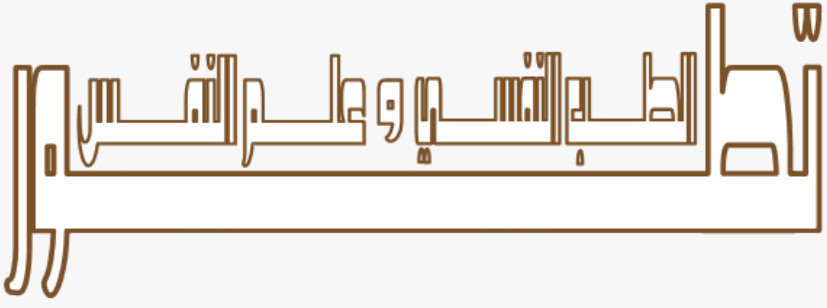

عبد الرحمان ابراهيم

الفهـــــــــرس

1- لمحة تاريخية عن تطور الطب النفسي	4
2- العلاقة بين الطب النفسي وعلم النفس	22
3- نظريات ومدارس علم النفس	33

تطـــور الطـــب النفســـي وعلـــم النفـــس

عُرّف الطب النفسي على أنه أقدم فن وأحدث علم. أقدم فن لأن الأمراض النفسية قديمة شغلت المفكرين بها بحثاً عن خفاياها...

1- لمحة تاريخية عن تطور الطب النفسي:

عُرّف الطب النفسي على أنه أقدم فن وأحدث علم.

أقدم فن لأن الأمراض النفسية قديمة شغلت المفكرين بها بحثاً عن خفاياها...

إن القول السابق لهو أقرب إلى الحقيقة طالما اجتمعت لدينا الدلائل الكثيرة عن مزاولة الإنسان لهذا الفن.. إذ تدعو إحدى المخطوطات المصرية القديمة التي تعود إلى عهد الفراعنة إلى استعمال الحجر الأخضر كتعويذة لعلاج الهستيريا...

كما دلت الحفريات الأثرية على أن الحضارة البابلية استطاعت تمييز بعض الأمراض كالكآبة واضطراب الذاكرة والانتحار...

واستعمل المصريون الاسترخاء والإيحاء كعلاج نفسي وكان هذا في عام 5000 ق.م.

وهناك بعض الدلائل في تاريخ الغرب نسرد بعضها:

- عهد القدماء وما قبل التاريخ

① في العصر الحجري وجدت الجماجم وفيها فوهات جراحية (نشر الجمجمة Trephiming) توحي بأنهم كانوا يتصورون وجود اضطراب سببته أرواح شريرة في الرأس والتي ستسمح لها الفوهة بالخروج.

② وتشير النصوص التوراتية إلى أن العديد من أشكال الاضطرابات العقلية كانت منتشرة في ذلك الوقت مثل (اكتئاب King saul).

③ وكذلك فالتقارير التوراتية المتعلقة بالجنون كانت تؤكد وتركز حول استحواذ الشخص من قبل أرواح شيطانية شريرة (مس شيطاني) وهو تفكير سيطر على فكر الغرب لقرون.

- العهد الكلاسيكي

① يمكن أن نجد أصلاً لمعظم وجهات النظر الحديثة في وجهات النظر التي كانت سائدة في العهد الكلاسيكي.

② إن علم الأساطير والأدب في هذه الفترة قدم العديد من الأوصاف للاضطرابات العقلية المعروفة آنذاك.

③ ولقد تركزت المفاهيم العامة حول الأصل ما وراء الطبيعي للاضطرابات العقلية.

④ إن الهياكل التي كانت مبنية لـ Aesculapius وهو إله الشفاء عند الإغريق أصبحت مراكز لعلاج العديد من الاضطرابات من خلال نظام من الراحة والتغذية وتفسير الأحلام.

⑤ والفلاسفة الإغريق القدماء اعتبروا أن فهم العقل الإنساني هو بحث عظيم وصرحوا بأن العقلانية Rationality هي الميزة الأساسية للعقل السليم:

❶ Ploto (429–347 B.C) كتب حول الصراع بين العمليات العليا (العقل reason) والعمليات السفلى (العاطفة emotion) وأيد المعالجة العاطفية للأشخاص المضطربين عقلياً الذين يخرقون القانون لكنه كان يعتقد أيضاً بالأصل ما وراء الطبيعي للاضطراب العقلي.

تدعو إحدى المخطوطات المصرية القديمة التي تعود إلى عهد الفراعنة إلى استعمال الحجر الأخضر كتعويذة لعلاج الهستيريا... كما دلت الحفريات الأثرية على أن الحضارة البابلية استطاعت تمييز بعض الأمراض كالكآبة واضطراب الذاكرة والانتحار...

في العصر الحجري وجدت الجماجم وفيها فوهات جراحية (نشر الجمجمة (Trephiming توحي بأنهم كانوا يتصورون وجود اضطراب سببته أرواح شريرة في الرأس والتي ستسمح لها الفوهة بالخروج.

❷ وفي معظم كتابات Aristotle (384– 322 B. C) نراه قد أعطى جل اهتمامه للاضطرابات العقلية.

⑥ وجد في كتابات Hippocrates (460– 377 B. C) (أبوقراط) تعبيراً كاملاً عن التفسير العقلاني للاضطرابات العقلية:

❶ لقد أنكر التدخل ما وراء الطبيعي كمصدر للاضطرابات العقلية وصرح بدلاً عن ذلك بأن الإمراضية الدماغية هي السبب.

❷ وصنّف الاضطرابات العقلية في ثلاث مجموعات: الهوس والسوداوية Melancholia والتهاب الدماغ (الحمى الدماغية).

❸ ووضع نظرية السوائل البدنية الأساسية الأربع (الدم، والسوداء، والصفراء، والبلغم) والتي اعتقد بأنها تكون بحالة عدم توازن في المرض العقلي.

❹ وفي المعالجة اتبع البرامج التي وضعها كهنة اسكاليبيوس وحاول إعادة التوازن لسوائل البدن من خلال إحداث النزف أو استخدام المسهلات والمقيئات.

⑦ Galen (DE 130– 200) المنظم العظيم لأعمال أبوقراط Hippocrates طوّر Galen نظاماً أصبح المرجع الطبي الغربي الذي لا نزاع عليه لفترة دامت 1500 عام تلت:

❶ عزز نظرية السوائل الأربع وكان داعماً قوياً لمذهب أبوقراط.

❷ ومثل Ploto ميز بين العمليات العقلية (العقلانية) والبدنية (العاطفية) وأشار إلى وجود تأثير عضوي روحاني وذلك له علاقة بالإله الخالق (والذي لا شك ساهم في تثمين وجهات نظره عالياً خلال القرون الأولى للمسيحية).

❸ ومعلوماته التشريحية كانت دقيقة جداً في ذلك الوقت ومع ذلك فقد احتفظ برأيه بأن التشريح الإنساني والحيواني متماثل تماماً.

تشير النصوص التوراتية إلى أن العديد من أشكال الاضطرابات العقلية كانت منتشرة في ذلك الوقت مثل (الكتاب King saul).

إن الهياكل التي كانت مبنية لـ Aesculapius وهو إله الشفاء عند الإغريق أصبحت مراكز لعلاج العديد من الاضطرابات من خلال نظام من الراحة والتغذية وتفسير الأحلام

❹ إن القبول الأعمى لوجهات نظره يعود بشكل كبير لانسجامها مع وجهات النظر اللاهوتية واقتصر هذا القبول على القيام بتحريات تجريبية أبعد للاضطرابات العقلية.

- العصور الوسطى

① خلال ألف سنة من هذه الفترة (500–1500 بعد الميلاد) نشأ تساؤل علمي بسيط حول طبيعة المرض العقلي وقد أحرز تقدماً علمياً بسيطاً في المعالجة العاطفية للأشخاص المضطربين ما عدا في بعض المآوي والملتجآت التي احتفظ بها رجال الدين.

② وفي وقت مبكر من العصور الوسطى كان المس الشيطاني هو وجهة النظر المقبولة كسبب للاضطراب العقلي، وإن التعاويذ التي كان يجريها رجال الدين كانت هي الطريقة في العلاج.

③ وفي العصور الوسطى المتأخرة وخلال فترة من المجاعة والمرض الوبائي والاضطراب السياسي حدثت انفجارات من الجنون مع مظاهر من الخوف والسلوك الشاذ.

④ وفي الجزء الأخير من هذه الفترة حيث ظهرت التهديدات ضد الديانة الأرثوذكسية قادت الاهتمامات بالهرطقة إلى الانشغال بالسحر والشعوذة واهتمام واسع بالسحر في بعض أجزاء أوربا.

⑤ وبينما كان قد افترض رسمياً أن العديد من ضحايا السحر كانوا من المرضى عقلياً فقد ظهر تراجع في الاعتقاد بالمس الشيطاني.

- النهضة عصر التنوير، ظهور العلم:

① وبينما بدأ القرن السادس عشر في أوربا والذي شهد أكثر وجهات النظر تطرفاً حول تأثير السحر، فقد حان الوقت أيضاً لمفكري هذا العصر من أمثال Francis Bacon, Erasmus, Thomas More لكي يعيدوا

الفلاسفة الإغريق القدماء اعتبروا أن فهم العقل الإنساني هو بحث عظيم وصرحوا بأن العقلانية Rationality هي الميزة الأساسية للعقل السليم

وجد في كتابات Hippocrates ((460- 377 B. C (أبوقراط) تعبيراً كاملاً عن التفسير العقلاني للاضطرابات العقلية:

وصنّف أبوقراط الاضطرابات العقلية في ثلاث مجموعات: الهوس والسوداوية Melancholia والتهاب الدماغ (الحمى الدماغية).

من جديد التساؤل حول الطبيعة البشرية وخاصة طبيعة العقل البشري.

② وإن فك القيود التي كانت مفروضة على دراسة الجسم البشري أدى إلى العودة إلى البحث التجريبي كأساس لتطوير المعرفة الطبية.

③ ولقد جرى البحث عن التغيرات المادية (Naturalistic) التي تعلل حدوث هذه الأمراض والتي كانت تعزى بشكل روتيني إلى أسباب ما وراء طبيعية Supernatural causes.

④ كتب الطبيب Johann Weyer (1515– 1588) رسالة انتقادية للتفسيرات القائمة على العفاريت للأمراض العقلية وأصبح واحداً من الأطباء الأوائل الذين اختصوا في الاضطرابات العقلية Mental disorders.

... وقد كان للعرب باع طويل في الطب النفسي فها هو الشيخ الرئيس ابن سينا Avicenna (980– 1037م) يصف الكآبة والقلق والانتحار.. ويضع علمه موضع التطبيق فيعالج الأمير العاشق (كما ورد في جهار مقال) بمعرفة اسم عشيقته، وكذلك الفتاة التي حنت ظهرها في موقف محرج ثم عجزت عن رفعه بعد ذلك.

وكان الرازي Rhazes طبيباً وموسيقياً واستخدم الإيماء والموسيقى كوسيلة في العلاج النفسي.

وكان العرب أول من أنشأ البيمارستانات حيث شُيّد أول بيمارستان إسلامي عام 707م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان في الشام.

في هذه العقود كانت الخرافات ما تزال تكبل الفكر الأوربي وتحول دون تحرره من فضاء العلم... ولم يكن في جعبة المعالج إلا التعاويذ والأساليب السحرية... بل الكثير الكثير من الممارسات القاسية العنيفة... وكانت الكنيسة هي المسيطر على أساليب العلاج طالما أن المرض عقاب من الإله وهذا يستوجب الاعتراف والتفكير بطريقة ما...

وضع أبوقراط نظرية السوائل البدنية الأساسية الأربع (الدم، والسوداء، والصفراء، والبلغم) والتي اعتقد بأنها تكون بحالة عدم توازن في المرض العقلي

قد كان للعرب باع طويل في الطب النفسي فها هو الشيخ الرئيس ابن سينا Avicenna (980–1037م) يصف الكآبة والقلق والانتحار.. ويضع علمه موضع التطبيق فيعالج الأمير العاشق

وبذلك كان المرض النفسي ضرباً من ضروب العقاب أو جسداً سكنته الأرواح الشريرة والعفاريت وبذلك فقد وُصم بكثير من الخرافات التي حالت دون التداول العلمي له، بل واستمر هذا الفكر حتى العصور الوسطى في أوربا، بل وحتى في العصر الراهن في بعض البيئات.

ورغم فوضى الخرافات وضجيجها ظهرت أصوات صافية داعية إلى البحث والتمحيص والملاحظة.. إنه أبقراط (أبو الطب) وعدد من العلماء الذين حذوا حذوه... كما ذكرنا سلفاً.

كان الرازي Rhazes طبيباً وموسيقياً واستخدم الإيماء والموسيقى كوسيلة في العلاج النفسي.

وأشرقت بدايات عصور التنوير والنهضة في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع عشر ليجعل المرض النفسي موزعاً بين الفلسفة والمناقشات والنظريات الميتافيزيقية العقيمة البعيدة عن الحقائق والظواهر التجريبية واعتبر رواد هذه الحقبة المرض العقلي كعاقبة للخطيئة التي تنتج عن خضوع الإنسان العاقل لقوى الشهوة والعاطفة وبذلك كان العلاج يسعى إلى تخليص وتحرير الروح من قوى الشر والشهوة والشياطين.

كان العرب أول من أنشأ البيمارستانات حيث شُيّد أول بيمارستان إسلامي عام 707م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان في الشام

فمن أوائل القرن السابع عشر الميلادي تمخضت بعض المحاولات التي قادت ووجهت الدفة نحو رجحان كفة العلم، ففي عام 1845 قال كريسنجر W. Crisinger أن الأمراض العقلية هي أمراض دماغية. ثم انطلق العلماء من قيد الفكرة المادية والعضوية إلى رحابٍ أوسع وهنا ذكر بعض الأعلام:

كولباوم L. Kahlbaum	1828 -1899م	وصف الكاتاتونيا والهبفرينيا
كريبلن E. Kreaeplin	1856 -1926م	أطلق اسم الجنون المبكر على **
بلويلر E. Bleuler	1857 -1939م	اصطلح اسم **
فرويد S. Freud	1856 -1939م	ونظريته عن التحليل النفسي والجنس والعصاب واللا شعور
يونغ Yung	1875 -1961م	**
آدلر Adler	1870 -1937 م	**
أدولف ماير Meyer	1866 -1950م	نظرية النفس I Psycho biologic

كان المرض النفسي ضرباً من ضروب العقاب أو جسداً سكنته الأرواح الشريرة والعفاريت وبذلك فقد وُصم بكثير من الخرافات التي حالت دون التداول العلمي له، بل واستمر هذا الفكر حتى العصور الوسطى في أوربا، بل وحتى في العصر الراهن في بعض البيئات

أشرقت بدايات عصور التنوير والنهضة في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع عشر ليجعل المرض النفسي موزعاً بين الفلسفة والمناقشات والنظريات الميتافيزيقية العقيمة البعيدة عن الحقائق والظواهر التجريبية

وبذلك فإن استقراءنا لتاريخ الطب النفسي يؤدي بنا إلى ما يلي:

الجنون هو لفظ استخدم سابقاً للتعبير عن تأثير سحري من قبل كائن بشري آخر أو أن الإنسان قد مسته أرواح شريرة أو أنه تدخل إلهي مقدس.

وبعد ذلك وبوقت متأخر من التاريخ البشري ظهرت تفسيرات واقعية علمية ثقافية عرّفت الجنون على أنه شكل لسلوك مضطرب أو أنه انعكاس وتعبير عن انحراف اجتماعي.

أما النظريات التي حاولت تغيير هذا الاضطراب فقد كانت انعكاساً لحالة المجتمع ولنظرته لهذا الخلل... فقد كانت وجهات النظر الدينية السائدة الأساس لنظرة سحرية ما وراء الطبيعة حول الجنون... ثم اتجهت النظريات لتقدم شروحات مادية (Naturalistic) تركّزت حول التأثيرات الفيزيولوجية ذات المنشأ الجسمي أو التأثيرات التجريبية ذات المنشأ النفسي.

وتطور النظريات والشروحات يقتضي تطور الوسائل العلاجية المتبعة مسايرة بذلك وجهة النظر السببية:

فقد كانت التعاويذ وطرق إبطال مفعول السحر الترياق الشافي من الاضطرابات العقلية يستخدمها الكهنة ورجال الدين لتؤثر على القوى ما وراء الطبيعة ومع ظهور الشروحات المادية للاضطراب اتجه العلاج نحو الطرق الفيزيائية التي تصحح الشروط الفيزيولوجية المفترضة المسببة للاضطراب (المعالجة الحسية Soma to therapy) وظهرت الإجراءات الثقافية الاجتماعية الشفهية لتعالج الاضطرابات المؤثرة التجريبية (المعالجة النفسية Psycho therapy).

وإن حالة الجنون لم تكن حالة فردية كأي مرض عضوي آخر وإنما كانت موقفاً عاماً وسياسياً في الوقت ذاته.. إذ تراوحت المواقف العامة بين اللا مبالاة والإهمال والصد والقلق الإنساني والتعاطف وأحياناً التقديس. أما السياسات الاجتماعية العامة تراوحت بين نفي الأشخاص من المجتمع

من أوائل القرن السابع عشر الميلادي تمخضت بعض المحاولات التي قادت ووجهت الدفة نحو رجحان كفة العلم، ففي عام 1845 قال كريسنجر W. Crisinger أن الأمراض العقلية هي أمراض دماغية

وعقابهم إلى العناية بهم في مؤسسات ومعاهد (Institutionalization).

وبذلك فإن النظريات التي وضعت لتفسير الخلل العقلي خضعت لسيطرة الموقف العام والسياسة ويتجلى العلاج انعكاساً لهذا الفهم وكيفية التقبل والتعامل مع الخلل والاضطراب النفسي. وإن تطور الاهتمام بالاضطرابات النفسية ليس إلا جزءاً وتعبيراً عن الحركة الاجتماعية الكبيرة التي بدأت تولي الإنسان وكرامته وسعادته وحقوقه الأهمية الكبرى بل جعلته جوهر الحياة. ترافق هذا النزوع إلى التفسيرات المادية للمرض العقلي وتطوير معاهد الرعاية لهؤلاء الناس رغم أنها لم تكن بشكل عام تفوق السجون والقيود بشوط كبير وهذه الظروف السيئة لمعاهد الرعاية أدت إلى زيادة الحاجة للإصلاح الاجتماعي Social reform والذي تجلى بالعناية بالمعاهد للمضطربين عقلياً خلال القرن التاسع عشر ...

وهنا بعض الأمثلة:

① Philippe Pinel (1745–1826) الطبيب الرئيس في مشفى Bicetre في باريس خطا خطوة هامة، وذلك بتحرير النزلاء من قيودهم والسماح لهم بالحركة الحرة خارج زنزاناتهم.

② في إنكلترا أسس Quaker William tuke (1732–1822) مأوى York Retreat والذي أصبح بموقعه الهادئ في الريف نموذجاً لغيره من المعاهد الأخرى.

③ في الولايات المتحدة قدّم Benjamine rush (1745–1813) وهو أحد أعلام الاستقلال مبادئ التدبير الأخلاقي Moral management التي كانت ترتكز على الافتراض القائل بأن المضطربين عقلياً قد فقدوا صوابهم Reason وهم بحاجة للمساعدة في استرجاعه.

فقد كانت التعاويذ وطرق إبطال مفعول السحر الترياق الشافي من الاضطرابات العقلية يستخدمها الكهنة ورجال الدين لتؤثر على القوى ما وراء الطبيعة ومع ظهور الشروحات المادية للاضطراب اتجه العلاج نحو الطرق الفيزيائية التي تصحح الشروط الفيزيولوجية المفترضة المسببة للاضطراب

إن النظريات التي وضعت لتفسير الخلل العقلي خضعت لسيطرة الموقف العام والسياسة ويتجلى العلاج انعكاساً لهذا الفهم وكيفية التقبل والتعامل مع الخلل والاضطراب النفسي

④ لجأ Dorothea *Dix* (1802–1887) مباشرة إلى الهيئات التشريعية في الولايات المتحدة وكان هو المسؤول مباشرة عن تحسين وتأسيس المشافي في عشرين ولاية.

⑤ وعلى الرغم من العمل الذي قام به هؤلاء وغيرهم من المصلحين فإن فوائد الإصلاحات المبكرة كانت تتناقص حينما كانت المعاهد تكبر وتصبح أكثر تجريداً، وتحول التركيز على المشافي إلى الرعاية الحارسة للمرضى والذين كان معظمهم بطيئاً في الشفاء.

لقد شارك أشخاص عدة في إقامة دعائم الإصلاح الاجتماعي الذي يسعى نحو رفع وصون الحياة النفسية للفرد. كذلك شاركت عدة مؤسسات منها الحكومي ومنها ما هو نتيجة عمل تعاوني مشترك للمواطنين.

ونذكر هنا أن (Farlet) من أوائل العصر الحديث في فرنسا.. حيث بحث وتحدث عن إمكانية إعادة التكيّف الاجتماعي للمجرمين والجانحين. ويشير تاريخ التطور في الحياة الاجتماعية في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر إلى تأسيس عدد من الجمعيات التي تعمل لهذا الغرض.

كذلك تشير بعض المراجع إلى أن فنلندا شهدت إنشاء مؤسسة لرعاية الصحة النفسية منذ سنة 1897.

ولا يمكن التغافل عن الجهد الكبير الذي قدّمه جيلفوز بيرز، حيث أصيب بمرض نفسي اضطره إلى عدد من مشافي الأمراض العقلية طوال عامين أو أكثر، وكان شفاؤه بداية عمل هام حيث عكف على تأليف كتاب هو خلاصة خبرته مع المرض والمشافي (عقل يجد نفسه) أسهم بشكل كبير في حركة العناية بالصحة النفسية ونشر الوعي في الولايات المتحدة. كما نذر نفسه وجهده للحركة الجديدة وظل يعمل خدمة لهدف رعاية الصحة النفسية حتى وفاته 1943.

* * *

وسنقوم بعرض تطور النظريات حول أسباب المرض العقلي في القرن العشرين.

نظريات حول أسباب المرض العقلي في القرن العشرين:

A- اتجهت النظرية الجسمية Somatogenic hypothesis ببحثها عن السبب باتجاه ظروف الجسم والعوامل البيولوجية التي تؤثر فيها :

① أدى البحث العلمي في القرن العشرين حول وظائف الجسم البشري إلى التأسيس العلمي للتدريب والممارسة الطبية.

② معظم الأطباء والمهتمين بالاضطرابات العقلية كانوا يعتقدون بأنه يتوجب على التشخيص محاولة تعيين سبب فيزيولوجي للمرض العقلي.

③ نشر Emil Krepelin (1855-1926) في عام 1883 تصنيفاً يساعد على تعيين الأساس العضوي للمرض العقلي.

❶ لاحظ أن المرض العقلي وكغيره من الاضطرابات الطبية يظهر أعراضاً Symptoms تسعى إلى التجمع مع بعضها كمتلازمات Syndromes.

❷ وكان يرى أن المرض العقلي وكغيره أيضاً من الاضطرابات الطبية له سير Course ونتيجة Out- come نموذجيان Typical.

❸ لقد افترض وجود مجموعتين رئيسيتين من الاضطرابات العقلية الهامة وهي النفاس الاكتئابي الهوسي Manic depressive psychosis والعته المبكر dementia praecox والذي أعاد تسميته Eugen Bleuler باسم الفصام Schizophrenia.

❹ وبينما كان Kraepelin يفكر بالسبب الكامن وراء المرض العقلي، فقد افترض وجود عدم توازن كيميائي Chemical

Philippe Pinel ((1745-1826 الطبيب الرئيس في مشفى Bicetre في باريس خطا خطوة هامة، وذلك بتحرير النزلاء من قيودهم والسماح لهم بالحركة الحرة خارج زنزاناتهم.

لا يمكن التغافل عن الجهد الكبير الذي قدّمه جيلفوز بيرز، حيث أصيب بمرض نفسي اضطره إلى عدد من مشافي الأمراض العقلية طوال عامين أو أكثر، وكان شفاؤه بداية عمل هام حيث يكمن على تأليفه كتاب هو خلاصة خبرته مع المرض والمشافي (عقل يجد نفسه) أسهم بشكل كبير في حركة العناية بالصحة النفسية ونشر الوعي في الولايات المتحدة.

imbalance أو اضطراب فيزيولوجي كان السبب وراء الاضطرابات العقلية الأساسية.

❺ إن الجدول الذي وضعه Kraepelin واعتماده المنطقي على الأمراض الطبية أوجد مبرراً لوجهة النظر القائلة بأن المرض العقلي يمكن فهمه بوصفه اضطراباً ذو أصل عضوي.

B– إن اكتشاف العوامل العضوية في الشلل العام General paresis قدّم الدعم الرئيس الأول لنظرية المنشأ الجسمي للمرض العقلي.

① لقد وصف الشلل العام في سنة 1825 كاضطراب نوعي من قبل الطبيب الفرنسي A. L. J. Bayle وذلك بالاعتماد على الملامح العامة كالتفكير التوهمي Delusional thinking والشلل المتزايد والسير التدهوري.

② إن ما شوهد بالملاحظة السريرية بأن المرضى الشلليين كان لديهم أيضاً إفرنجي قاد إلى تجربة مثيرة أجراها في عام 1897 م Richard von krafft Ebing والتي أثبت بها وجود علاقة بين الشلل والإفرنجي.

③ ولقد أدى اكتشاف الملتوية الإفرنجية Syphilitic blood test في 1905 إلى التحقق من خلال فتح الجثة Postmortem من أن أدمغة المشلولين قد غزيت بالملتويات.

④ ومع تطور اختبار واسرمان عام 1906 Wasserman blood test وإجراءات المعالجة من قبل Julius von wagner– Jauregg paul Ehnilich عندما اكتمل نمط التشخيص والمعالجة والذي أصبح معتمداً على الإمراضية الموجودة Underlying pathology.

C– إن النظرية النفسية Psychogenic hypothesis وجهت أبحاثاً عن سبب الاضطراب العقلي تجاه أحداث في حياة الشخص وخاصة تلك الأحداث التي تؤثر على تطور الشخصية Personality أو على أنماط التلاؤم adjustment مع متطلبات البيئة.

اتجهت النظرية الجسمية Somatogenic hypothesis ببحثها عن السبب باتجاه ظروف الجسم والعوامل البيولوجية التي تؤثر فيها

لاحظ Krepelin أن المرض العقلي وكغيره من الاضطرابات الطبية يظهر أعراضاً Symptoms تسعى إلى التجمع مع بعضها كمتلازمات Syndromes

① وبينما تركزت الفحوص الطبية للاضطرابات العقلية على الدماغ والظروف التي أثرت في وظيفته فإن تفكيراً آخر حول طبيعة العقل توجه إلى مشاكل الوعي Consciousness والظروف غير العادية للوعي.

② وأما Franz mesmer (1734–1815) فقد أثار اهتمام نوادي الأبحاث في فيينا وباريس بالبراهين التي قدمها حول استخدام مغناطيسية الحيوانات Magnetism (والذي يعرف اليوم باسم التنويم المغناطيسي hypnosis) في علاج وشفاء الأعراض الفيزيائية لمرضاه.

③ وبينما كان ينظر إلى Mesmer وأفكاره من قبل غيره من الأطباء على أنها شعوذة Quackery فإن بعضهم أثير اهتمامه بالتأثيرات العقلية لتقنياته، فبدأوا بدراسة جدية عن التنويم المغناطيسي.

④ إن تأسيس أول مخبر في علم النفس التجريبي Experimental psychology من قبل Wilhelm Wundt في عام 1879 رسم Formalized العوامل التي تؤثر في العمليات العقلية كالشعور والإدراك.

⑤ وبينما كان علم النفس يتطور تجريبياً كتدريب، فلقد تحولت الدراسة إلى العمليات التي تنشئ وتحافظ على التعلم، وخاصة شروط التعلم المعروفة بالتعليم الشرطي الكلاسيكي Classical conditioning الذي أسسه بافلوف Ivan Pavlov (1848–1936).

D– إن دراسة التنويم المغناطيسي وتطبيقه في علاج الهستيريا أدى إلى الصياغة الأولى Formulation للنظرية النفسية:

① الهستيريا Hysteria (والتي تعرف الآن باضطراب التحويل Conversion disorder وهي الحالة التي يُظهر فيها المريض أعراضاً فيزيائية تبدو على أنها اضطراب عصبي كالشلل، وفقد الحس).

② إن المرضى الذين شفوا على يد Mesmer هم هستريائيين على الأغلب.

③ أما عالم الأعصاب الفرنسي Jean Charcot (1825–1893) فقد أقنعه طلابه أن يتحرى عن استخدام التنويم المغناطيسي في تحريض Instigating وشفاء الأعراض عند مرضاه الهيستريائيين.

④ في 1885 سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856–1939) وهو أخصائي عصبي شاب درس مع Charcot واطلع على أعمال غيره من الأطباء الفرنسيين الذين درسوا التنويم المغناطيسي.

⑤ وعند عودة فرويد إلى فيينا ضمّ خبرته مع بروير Josef Breuer (1842–1925) والذي كان قد طور تقنية لجعل مرضاه يتحدثون عن مشاكلهم تحت التنويم المغناطيسي.

⑥ نشر فرويد وبروير كتابهم (دراسات في الهستيريا) عام 1895 ووضعوا فيه دور التجارب العاطفية Emotional expriences والعمليات العقلية غير الواعية في الهستيريا.

⑦ أظهرت أبحاث فرويد وبروير أن العمليات النفسية يمكن أن تكون مسببة للمرض العقلي في بعض أشكاله وهذا ما كان على فرويد إثباته فيما بعد في نظريته في التحليل النفسي Psychoanalysis.

تطورات القرن العشرين (حتى 1965):

A- بينما كان معظم الأطباء النفسيين يؤيدون وجهة النظر النفسية فإن نجاحها كان مقتصراً على الجزء المبكر من القرن العشرين:

① لم تأتِ بشيء يمكن مقارنته مع الشروحات المكتوبة حول الشلل العام.

② والفصام وهو التحدي الأكبر من بين الاضطرابات العقلية الحادة كان هدفاً لأبحاث قيمة حول آليته الإمراضية الممكنة دون أي نجاح.

لقد افترض Kraepelin وجود مجموعتين رئيسيتين من الاضطرابات العقلية العامة وهي النفاس الاكتئابي Manic الهوسي depressive والعته psychosis المبكر dementia praecox والذي أطلق تسميته Eugen Bleuler باسم الفصام Schizophrenia.

بينما كان Kraepelin يفكر بالسبب الكامن وراء المرض العقلي، فقد افترض وجود عدم توازن كيميائي Chemical أو imbalance اضطراب فيزيولوجي كان السبب وراء الاضطرابات العقلية الأساسية

إن الجدول الذي وضعه Kraepelin واعتماده المنطقي على الأمراض الطبية أوجد مبرراً لوجهة النظر القائلة بأن المرض العقلي يمكن فهمه بوصفه اضطراباً ذو أصل عضوي

إن النظرية النفسية Psychogenic hypothesis وجهت أبحاثاً عن سبب الاضطراب العقلي تجاه أحداث في حياة الشخص وخاصة تلك الأحداث التي تؤثر على تطور الشخصية أو Personality على أنماط التلاؤم مع adjustment متطلبات البيئة

③ وقد تطور العديد من طرق العلاج الجسمية Somatic بما فيها تحريض السبات Coma والاختلاجات Seizures أو التداخلات الجراحية الدماغية ولكن النتائج– مع بعض الاستثناءات– كانت غير ملفتة للنظر، ولم تكن هناك معلومات واضحة حول آثارها.

④ وعلى أي حال، فقد تغيّر الوضع جذرياً في عام 1950 عندما ظهر أول دواء مضاد للنفاس Antipsychotic أو مضاد للاكتئاب Antidepressant فعال مؤدياً إلى الثورة الدوائية Pharmcological revolution والتي جعلت وجهة النظر الجسمية هي وجهة النظر المسيطرة في الطب النفسي المعاصر.

⑤ إن الخطوات السريعة في اكتشاف الوراثة الجزيئية Molecular genetics وعمل الدماغ والآليات العصبية والتي بدأت في منتصف القرن أصبحت تزودنا بقاعدة جوهرية من المعلومات التي دعمت النظرية الجسمية Somatogenic hypothesis.

B– وبينما كانت وجهة النظر الجسمية تضعف Languishd في الفترة المبكرة من هذا القرن فإن وجهة النفسية Psychogenic كانت تترعرع وتزدهر:

① إن تطور التحليل النفسي قدّم نظرية نفسية (سيكولوجية) في سبب المرض العقلي وعلاجه.

❶ إن نظرية فرويد في الشخصية ركّزت انتباهها حول العوامل اللا واعية المحددة للسلوك، والصراع العاطفي Conflict وتجارب الطفولة الأولى والدور الرئيس للقلق anxiety والدفاع deference ضد القلق في الأعراض العصابية neurotic.

❷ وطريقته في العلاج تضمنت استخدام التداعي الحر free association والأحلام dreams وذكريات تجارب الطفولة الأولى والتفاعل interaction مع المعالج والتي كانت تؤول interpreted لإيجاد المعنى الكامل للدوافع اللا شعورية anconcious motives والصراعات والانحرافات التطورية developmental distortions.

❸ إن منهج فرويد في العلاج الكلامي والذي يجري فيه محادثة مركّزة focused conversation للوصول إلى أهداف علاجية أصبح تقليداً يستخدم في عدد كبير من ممارسات المعالجة النفسية والتي ظهرت في السنين التالية.

② وأصبح فرويد مركزاً لمجموعة من ممارسي المعالجة النفسية ولكن ظهرت سريعاً اختلافات في الرأي حول طبيعة اللا وعي والأسباب الرئيسة للاضطرابات العقلية والإجراءات الفعالة في المعالجة النفسية أدت هذه الاختلافات إلى ظهور اختلافات أخرى في طريقة فهم الدينامية النفسية.

❶ ألفرد آدلر (1870–1937) وكارل يونغ (1875–1961) الأوائل كانوا أول من طوّر نظريات تختلف بشكل واضح عن نظريات فرويد.

❷ وآخرون وبينما كانوا يحتفظون بالعديد من أفكار فرويد قدموا دوراً أكبر للعوامل الثقافية cultural factors ووجدوا دوراً أكبر لأنماط الراشدين في التدبير coping وكذلك الممارسة التحليلية النفسية المتحررة.

❸ ركز (1885–1932) Karon Horney ، Hary stack (1866–1950) sulivan وبشكل خاص على التجارب التي يخوضها الإنسان في الأسرة ولمجتمع كتأثيرات محددة

بينما تركزت الفحوص الطبية للاضطرابات العقلية على الدماغ والظروف التي أثرت في وظيفته فإن تفكيراً آخر حول طبيعة العقل توجه إلى مشاكل الوعي Consciousness والظروف غير العادية للوعي

إن دراسة التنويم المغناطيسي وتطبيقه في علاج الهستيريا أدى إلى الصياغة الأولى Formulation للنظرية النفسية

نشر فرويد وبروير كتابهم (دراسات في الهستيريا) عام 1895 ووضعوا فيه دور التجارب العاطفية Emotional expriences والعمليات العقلية غير الواعية في الهستيريا

أظهرت أبحاث فرويد وبروير أن العمليات النفسية يمكن أن تكون مسببة للمرض العقلي في بعض أشكاله وهذا ما كان على فرويد إثباته فيما بعد في نظريته في التحليل النفسي Psychoanalysis

determining influence في الشخصية ووجهوا معالجتهم إلى حل العلاقات المضطربة داخل الشخصية.

③ لقد كان Adolfmeyer (1866–1950) ذو تأثير عظيم على الطب النفسي الأمريكي.

❶كان Meyer ينظر إلى المرض العقلي كدليل على سوء تكيّف Maladaptive الشخص مع البيئة.

❷ وكان تأكيده على الملاحظة الموضوعية لسلوك المريض وعلى العادة على ** آلية السلوك سيئ التكيّف منسجماً مع سيكولوجية التعلّم والتي كانت قد وضعت من قبل علماء النفس الأمريكيين.

❸ ووجهات نظره سبقت النموذج النفسي الاجتماعي الحيوي والتي حملها العديد من الأطباء النفسيين حديثاً.

④ إن التقدم في سيكولوجية التعلم أدى إلى تطبيق مبادئ التعلم على مشاكل سلوك الأطفال ومؤخراً على سلوك البالغين.

❶ John Watson (1878–1958) ، وهو مؤسس السلوكية أوضح كيف أن المخاوف يمكن أن تُكيّف عند الأطفال وأيّد استعمال مبادئ الشرطية في تربية الأطفال.

❷ طوّر B. F. Skinner (1944–1990) مفاهيم الشرطية الفاعلة والتي استخدمت مؤخراً من قبل علماء النفس كقاعدة لتكييف السلوك.

❸ في عام 1950 نشر Neal Miller, John Dollard المعالجة النفسية والشخصية personality and psychotherapy وهي محاولة لإعادة تأويل نظرية التحليل النفسي بلغة الإشراط الفاعل والكلاسيكي Classical and operant conditioning.

❹ إن تطوير فحوص ومقاربات المشاكل السلوكية المعتمدة على التعلم تطورت إلى البديل الرئيس وهي المقاربات العلاجية الدينامية النفسية psychodynamic therapeutic.

C- إن التمويل المقدم للمرضى العقليين أصبح يشغل اهتماماً أكبر لحكومة الولاية والإقليم أولاً، ثم على الصعيد القومي.

① إن الحماس الإصلاحي لـ Dorothea Dix استمر خلال القرن العشرين مع تطور حركة الصحة العقلية:

❶ وصف Clifford Beers شفاءه من مرض عقلي في كتابه (العقل الذي وجد نفسه Mind that found it self) الذي نشر عام 1908.

❷ وبمساعدة عالم النفس وليم جيمس William James والطبيب النفسي Adolf Myer أخذ كليفورد على عاتقه حملة عالمية لتثقيف المجتمع عن المرض العقلي.

❸ وأسس الجمعية القومية للصحة العقلية والتي تأسست بهدف إصلاح معاهد الدولة وثقافة المجتمع والتدخل المبكر من خلال تأسيس عيادة الطفل والأسرة (وتدعى الآن الوكالة القومية للصحة العقلية).

② وفي الجزء الباكر من هذا القرن بقيت معاهد الدولة حسنة ممتازة كما كانت في القرن الماضي، تؤدي عدداً متزايداً من المرضى العاجزين المزمنين، والذين جعلتهم اضطراباتهم غير القابلة للعلاج، غير مقبولين في مجتمعاتهم.

③ وبعض المعاهد، على أي حال، أصبحت أيضاً مراكز للأبحاث المتعلقة بالاضطرابات النفسية.

الفصام وهو التحدي الأكبر من بين الاضطرابات العقلية الحادة كان هدفاً لأبحاث قيمة حول آليته الإمراضية الممكنة دون أي نجاح

تطور العديد من طرق العلاج الجسمية Somatic بما فيها تحريض السبات Coma والاختلاجات Seizures أو التداخلات الجراحية الدماغية ولكن النتائج- مع بعض الاستثناءات- كانت غير ملفتة للنظر، ولم تكن هناك معلومات واضحة حول آثارها

تغيّر الوضع جذرياً في عام 1950 عندما ظهر أول دواء مضاد للذهان Antipsychotic أو مضاد للاكتئاب Antidepressant فعال مؤدياً إلى الثورة الدوائية Pharmcological revolution والتي جعلت وجهة النظر الجسمية هي وجهة النظر المسيطرة في الطب النفسي المعاصر

④ إن مجيء الأدوية التي تشفي بشكل فعال بعض أعراض الاضطرابات المزمنة غيّرت من دور المشافي الحكومية من أماكن للحراسة إلى مراكز للعلاج سمحت للعديد من المرضى بأن ينطلقوا إلى أماكن أقل تقييداً وحصراً.

⑤ وفي نفس الوقت فإن العديد من المشافي العامة أصبحت تقدم خدمات في الطب النفسي لكي تدعم المعالجة النفسية بالأدوية الحديثة.

⑥ إن حركة إنقاص الإقامة بالمعاهد التي قامت في عام 1960 أدت إلى حماية شرعية أكبر لحقوق المرضى العقليين وتحول التركيز من العلاج الطويل الأمد في المشافي العامة إلى المعالجة في بيئة المريض نفسه.

⑦ لقد نظر الكونغرس الأمريكي عام 1963 بعمل مراكز الصحة العقلية العامة لكي تقدم عيادات شاملة للعناية بالصحة العقلية في المجتمع ولكي تقدم إجراءات وقائية ثقافية.

⑧ إن حركات إنقاص الإقامة بالمعاهد وكذلك تأسيس العيادات العامة يبدو أنها حققت أهداف حركة الصحة العقلية ولكن ظهرت مشاكل من إنقاص الإقامة في المعاهد لا تزال تتحدى تطوير سياسة اجتماعية فعالة.

إن الصيغة المديدة للاهتمام بالصحة النفسية وصلت شرقنا العربي وازداد الاهتمام واتجهت الأنظار نحو الاضطرابات النفسية في حياة الفرد وبذلك ظهرت العديد من الدراسات ثم إقامة عدد من المؤسسات والجمعيات وظهرت الدعوات لعقد المؤتمرات التي تبحث حول الصحة النفسية، كان أولها المؤتمر الذي عقد في القاهرة سنة 1970.

الكتاب العربي"نفساني" :العدد 77 - 2023

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2023

نفساني
NAFSSANY
THE ARAB BOOK OF PSYCHOLOGICAL SCIENCES
77
2023

Towards An Arab School of Psychological Sciences

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2023